أدب الحوار في ثقافة أهل‌البيت عليهم‌السلام

الكاتب: عواطف الفضلي[1]
الباحث: السيد علي طباطبائي النجفي[2]

استلام: ١٤٣٤/٦/٨ قبول: ١٤٣٤/١٢/٢١

خلاصة البحث

قد لا يكون لموضوع من الأهمية على مر الزمان مثل ما للحوار من أهمية، تتضاعف تلك الأهمية في زماننا الحاضر، فقد كثرت وسائل الاتصال وبرامج الحوار حتى عجّت بها القنوات الفضائية وما تبثّه هذه القنوات من الغث والسمين، ومن أفكار ضالة وعقائد منحرفة، لا تؤثر على أبنائنا- شئنا أم أبينا- فقط، بل تحرق الأخضر واليابس في مجتمعاتنا أيضاً بما تغذيه من مشاعر العداء والتفرقة.

وبالمقابل، فإن الحوار يبقى الوسيلة الأهم لمقابلة تلك الهجمات الضالة من جهة، ونشر الهداية ونور الحق من جهة أخرى، إلا أن ذلك بشرطها وشروطها -كما يقولون- كما هو الحال في أي عمل علمي يراد به أن يكون قائماً على أسس فنية صحيحة؛ لكي يؤتي أكله ويوصل إلى ما أعد له من أهداف وغايات، وهنا يأتي البحث في أدب الحوار وفي ضرورته القصوى، فنحن ـ ولله الحمد ـ لدينا ثروة ثقافية وفكرية وعقائدية واجتماعية وسياسية عظيمة قائمة على أسس ثقافية إسلامية منطقية وأخلاقية صحيحة، متمثلة بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم‌السلام، فهم مدرستنا وملاذنا في هذه الحياة المليئة بالأمواج العاتية التي تعصف بالإسلام من كل الجهات، فعلينا أن نقتدي بهم ونتسلح بفكرهم وثقافتهم في مواجهة الطرف المقابل؛ من أجل الوصول إلى الحقيقة بطريقة فنية صحيحة هادئة موضوعية قائمة على أسس الحوار وآدابه الصحيحة وبالأدلة والبراهين الواضحة، قال الله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل/ ١٢٥].

وأما منهج التحقيق الذي اخترناه في هذه المقالة، فهو المنهج التوصيفي التحليلي المركب، وهو المنهج المتبع في أكثر الدراسات الإسلامية والإنسانية بصورة عامة.

وأما أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث والتحقيق في هذه المقالة ما يلي:

١ـ الحوار هو العنصر الاساسي في أي تفاعل معلوماتي حتى لو كان هذا التفاعل بين شخصين لا أكثر.

٢ـ وبناء على الحقيقة السابقة، يتبين ما للحوار من أهمية في تبادل المعلومات وبناء الفكر والحضارة.

٣ـ وللأهمية القصوى التي يتمتع بها الحوار، لابد أن يكون هناك قواعد وضوابط خاصة تحكم ذلك العنصر بحيث يعطي أكله ويوصل إلى الأهداف المتوخاة منه.

٤ـ إن خير ما يُستقى منه أسس الحوار وآدابه هو الثقافة الإسلامية المتمثلة بالقران الكريم وعِدله؛ أقصد أهل‌البيت عليهم‌السلام.

٥ـ أهم أسس الحوار في الثقافة الإسلامية هي: الإخلاص والاحترام والموضوعية.

الكلمات الرئيسة: الحوار، الآداب، الثقافة الإسلامية، القرآن، أهل‌البيت عليهم‌السلام، أسلوب الحوار، أسس الحوار.

المقدمة

كثرت وسائل الاتصال وبرامج الحوار في أيامنا هذه حتى عجت بها القنوات الفضائية وجميع أنواع برامج التواصل مع ما تبثّه هذه القنوات وتلك البرامج من الغث والسمين، ومن أفكار ضالة وعقائد منحرفة، لا تؤثر على أبنائنا - شئنا أم أبينا - فقط، بل تحرق الأخضر واليابس في مجتمعاتنا أيضاً بما تغذيه من مشاعر العداء والتفرقة والبغضاء.

وبالمقابل، فإن الحوار يبقى الوسيلة الاهم لمقابلة تلك الهجمات الضالة من جهة، ونشر الهداية ونور الحق من جهة أخرى، إلا أن ذلك غير ممكن ـ كما هو الحال في أي عمل علمي يراد به أن يوصل إلى ما أعد له من أهداف وغايات إلا إذا كان قائماً على أسس فنية صحيحة، وهنا يأتي البحث في أدب الحوار وفي ضرورته القصوى، فنحن- ولله الحمد- لدينا ثروة ثقافية وفكرية وعقائدية واجتماعية وسياسية عظيمة قائمة على أسس ثقافية إسلامية منطقية وأخلاقية صحيحة، متمثلة بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم‌السلام، فهم مدرستنا وملاذنا في هذه الحياة المليئة بالأمواج العاتية التي تعصف بالإسلام من كل الجهات، فعلينا أن نقتدي بهم ونتسلح بفكرهم وثقافتهم في مواجهة الطرف المقابل، من أجل الوصول إلى الحقيقة بطريقة فنية صحيحة هادئة موضوعية قائمة على أسس الحوار وآدابه الصحيحة وبالأدلة والبراهين الواضحة، قال الله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل/ ١٢٥].

١- طالبة في فرع الشريعة الإسلامية، awatef.hf@gmail.com.

٢- عضو لجنة الدراسات الإسلامية في جامعة المصطفى صلى‌الله‌عليه‌وآله المفتوحة، tabatabainajafi@gmail.com.

١) مطالب تمهيدية

الف- التعريف بالحوار وأدبه

النقطة الأولى: الحوار في اللغة والاصطلاح

✓ **أولاً**: المعنى اللغوي للحوار

المحاورة: مراجعة الكلام، حاورت فلاناً في المنطق، وأحرت إليه جواباً، وما أحار بكلمة، والاسم: الحوير، نقول: سمعت حويرهما وحِوارهما (الفراهيدي، ٢٠٠٧، ج٣، ص. ٢٨٧).

وقال ابن‌منظور: الحَوْرُ ما تحت الكوْرِ من العمامة؛ لأنه رجوع عن تكويرها، وكلّمته فما رَجَع إليّ حَواراً وحِواراً ومحاوَرَة وحويراً ومَحُورة، أي: جواباً.

المحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، واستحاره أي استنطقه، وفي حديث أميرالمؤمنين عليه السلام «**يَرْجِعُ إِلَيْكُمَا ابناكما بِحُورٍ مَا بعثتُما بِهِ؛ أَيْ: بِجَوَابٍ ذَلِكَ**» (ابن‌منظور،١٤١٤، ج١٠، ص. ١٠٤٣).

وعرّف ابن‌فارس بأنه: الحور مصدر حار أي رجع، وكلمته: **فما رجع إلي حَواراً ومحوارة وحويراً**؛ (ابن‌فارس ، ١٣٩٩، ج٢، ص. ١١٧).

والمستفاد من الكلمات السابقة هو أن الحوار الرجوع بالجواب وإن اختلفت بعض التعبيرات في ذلك.

✓ **ثانياً**: المعنى الاصطلاحي للحوار

وأما المعنى الاصطلاحي للحوار فهو: تداول الكلام بين طرفين أو أكثر بهدف الوصول إلى الحقيقة في موضوع معين؛ فقد عرفه بعض المحققين بأنه: نوع من الحديث بين شخصين، أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه.

ويتضح من خلال التعريف اللغوي لكلمة الحوار وإن كانت عبارات اللغويين مختلفة بعض الشيء، إلا أنهم متفقين على أن الحوار هو الإجابة والرد، وهو بذلك قريب من المعنى الاصطلاحي للحوار؛ لأن الكلام المتداول بين الطرفين هو عبارة عن أسئلة وردود عليها بالأدلة والبراهين، وبما أن الحوار يعتبر وسيلة من وسائل الاتصال، فلا يمكن حصره في هذه الكلمة، فقد جاء التعبير عنه بمفردات أخرى قريبة منه ومن أهمها الجدل والمناظرة، ولكن مفهوم الحوار أوسع منهما.

✓ **ثالثاً**: الحوار في القران الكريم والسنة الشريفة

ولم يرد في القرآن الكريم لفظ الحوار، وإنما ورد الفعل (حاور) والمصدر (التحاور) في ثلاث آيات، منها اثنتان في سورة الكهف في قصة صاحب الجنتين وحواره مع صاحبه، حيث يقول سبحانه وتعالى: **(وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)**[الكهف/ ٣٤]، وقال الله تعالى: **(قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا)**[الكهف/ ٣٧]، **فالمحاورة هنا رد نفوذ كلام الخصم والمنع عن جريانه وتحكيمه، سواء كان عن مُحقّ أو مبطل**؛ (المصطفوي،١٣٩٣؛ ج٢، ص. ٣٦١).

وأما الآية الثالثة التي وردت فيها كلمة التحاور فهي من سورة المجادلة في قوله تعالى: **(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)**[المجادلة/ ١]، وبالرجوع إلى تفسير القرآن لهذه الكلمات نجد: **التحاور والتراجع وهي المحاورة يقال حاوره محاورة أي راجعه الكلام وتحاوراً** (الطباطبائي، ١٩٩٧؛ ج١٩، ص. ١٨٥).

وأما في السنة الشريفة، فالحوار في مدرسة أهل‌البيت: هو نفس التعريف المستمد من القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وآله: **(وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)**[النحل/ ١٢٥].

وقال أبومحمد الحسن‌بن علي العسكري عليه السلام: ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال في الدين، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال الصادق عليه السلام: لم ينه عنه مطلقاً، ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن، أما تسمعون الله يقول: **(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)**[العنكبوت/ ١٦] فالجدال بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين، وقال الله تعالى: **(تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)**[البقرة/ ١١١]، «**فَجَعَلَ عِلْمَ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانَ بِالْبُرْهَانِ وَهَلْ يُؤْتَى بِالْبُرْهَانِ إِلَّا فِي الْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**»؛ (المجلسي،١٤٠٣؛ ج٢، ص. ١٢٥).

النقطة الثانية: المراد بأدب الحوار

إن الحوار مبدأ إنساني أصيل، فهو يخاطب أعظم ملكات الإنسان ألا وهو العقل، الذي ميزه الله به على سائر المخلوقات، ولما كان الحوار – كما قلنا – مبدأ إنسانياً أصيلاً يخاطب العقل، فمن اللازم أن يكون هناك مجموعة من الأسس والقواعد والضوابط تحكم هذه المسألة وتضبطها بحيث تجعلها عملية فنية منضبطة هادفة، توصل المحاور إلى الغايات التي يهدف إليها من وراء الحوار.

إن تلك المجموعة السابقة من الأسس والقواعد والضوابط التي تحكم الحوار وتجعله عملية فنية هادفة هي المقصودة بمصطلح (أدب الحوار) في هذه المقالة، وهو ما سنتعرض إليه بالتفصيل بعد أن نتعرض إلى أهمية الحوار وأساليبه، فإن مقتضى الترتيب الفني والمنطقي للمقالة يقتضي تقديم التعريف بهذه الآداب، ليتم الكلام بالتفصيل فيها فيما سيأتي من أسس الحوار وآدابه في القران الكريم والسنة الشريفة.

ب- أهمية الحوار وضرورته

إنّ للحوار أهمية كبيرة مهمة حساسة غاية في الحساسية؛ فهو وسيلة من وسائل الاتصال الفعالة للوصول إلى الحقيقة، وهو مطلب إنساني يستخدمه الإنسان من أجل إشباع حاجته في التواصل والاندماج مع الآخرين، كما أنه يعكس الواقع الحضاري والثقافي للشعوب والأمم، وهذا ما يطلق عليه اليوم بثقافة الحوار، فتقوم الدول والمنظمات بعقد المؤتمرات والندوات، من أجل الوصول إلى الحقيقة وتقريب وجهات النظر، قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**[الحجرات/ ١٣].

كما أن الحوار يعتبر من أهم وسائل التربية والإصلاح، فيه يطرح الإنسان معتقداته وقيمه، ويرد على شبهات المحاورين، ويطرح الأدلة والبراهين، لكي يجيب على أسئلة الطرف المقابل؛ لأن الاختلاف والتعددية بين البشر قضية واقعية، ولا يمكن لأحد إنكارها أو حتى تجاهلها، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: **(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا)**[يونس/ ١٩].

وفي تفسير الآية الشريفة المتقدمة، يشير العلامة الطباطبائي إلى: **أن الآية تكشف عن نوعين من الناس أحدهما: الاختلاف من حيث المعاش، وثانيهما: الاختلاف في نفس الدين وما تضمنه الكتاب الإلهي من المعارف الحقة في الأصول والفروع، وبذلك ينقسم الطريق إلى طريقي الهداية والضلال، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق**؛ (الطباطبائي، ١٩٩٧؛ ج١١، ص. ٢٩-٣٠). ولكنهم في الأساس أمة واحدة، وإن اختلافهم لا يلغي الوحدة الإنسانية، وخير شاهد على ذلك عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر: «**وَلاتَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضارِياً تَغْتَنِمُ اَكْلَهُمْ فَاِنَّهُمْ صِنْفانِ: اِمَّا اَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَاِمّا نَظيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**» (الرضي؛ ١٤١٤؛ نامه ٥٣، ص. ٥١٨).

ومن ذلك يتضح لنا أن الاختلاف حقيقة وواقع، وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى التعامل مع هذه الحقيقة من خلال الحوار، فالحوار هو القاعدة الأساسية للدين الإسلامي في دعوته إلى الإيمان بالله وعبادته، وكذا في كل قضايا الخلاف بينه وبين أعدائه.

وبكلمة مختصرة: الحوار هو جسر التلاقح الفكري وتمرير الأفكار والثقافات، وبدونه لن يكون أي تلاقح ولا تطور ولا ثقافة.

٢) أساليب الحوار في الثقافة الإسلامية

النقطة الأولى: أساليب الحوار في القران الكريم

يمتاز الأسلوب القرآني عن غيره من الأساليب بميزات خاصة لايرقى لها العقل الإنساني؛ وذلك لأنه تحدى العرب بإعجازه وأسلوبه، ومن هذه الأساليب التي استعملها القرآن الكريم الأسلوب الوصفي التصويري، حيث يقوم بعرض قصص ومشاهد حوارية واقعية بقصد تبسيط فكرة وتقريبها للمستمع من خلال الحوار الجاري، وحمله على تبنّي موقف صحيح.

المثال للأسلوب المتقدم من أساليب الحوار هو ما وقع من حوار بين موسى عليه السلام وفرعون، قال تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ* قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ* قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ* قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ* قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ* قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)[الشعراء/ ٢٣- ٢٨].

ومن أساليب الحوار الأخرى التي استعملها القرآن الكريم الأسلوب الحجاجي والبرهاني: وهو الأسلوب الذي يعتمد على الحجة والبرهان لدحض ادعاءات المنكرين للتوحيد والبعث بأسئلة تتوخى زعزعة تقاليدهم ومعتقداتهم الباطلة، وتهدف إلى توحيدهم للنظر والتفكير في آيات الله من أجل بناء قناعات ومواقف صحيحة، ومثال ذلك قوله تعالى: (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ* أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[الأنبياء/ ٦٦- ٦٧].

النقطة الثانية: أساليب الحوار في ثقافة أهل‌البيت عليهم السلام

ما تقدم في القران الكريم من أساليب للحوار نجده في السنة الشريفة وثقافة أهل‌البيت عليهم السلام، أن أئمة الهدى عليهم السلام، هم الذين طبقوا أساليب القرآن الكريم أفضل تطبيق وأخذوا به في مختلف حواراتهم مع مواليهم حيث كان خلقهم القرآن الكريم، وهذا ما اعترف به ابن أبي العوجاء من أسلوب الإمام الصادق عليه السلام في الحوار، فقال مخاطباً المفضل: «وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَصْحَابِ جَعْفَرِبْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ فَمَا هَكَذَا يخاطبنا وَلَا بِمِثْلِ دَلِيلِكَ يُجَادِلُنَا وَلَقَدْ سَمِعَ مِنْ كَلَامَنَا أَكْثَرَ مِمَّا سُمْعَةُ فَمَا أَفْحَشُ فِي خطابنا وَلَا تَعَدَّى فِي جوابنا وَإِنَّهُ لِلْحَلِيمِ الرزين الْعَاقِلُ الرصين لا يَعْتَرِيهِ خُرْقُ وَلَا طيش وَلَا نَزَقٍ وَيَسْمَعُ كَلَامَنَا وَيُصْغِيَ إِلَيْنَا وَيَسْتَعرِف حُجَّتَنَا حَتَّى سَتَقْرِغنا مَا عِنْدَنَا وَظَنَنَّا أَنَّا قَدْ قَطَعْنَاهُ أَدْحَضَ حُجَّتُنَا بِكَلَامٍ يَسِيرٍ وَخَطَّابٍ قَصِيرُ يَلْزَمُنَا بِهِ الْحِجَّةِ وَيَقْطَعُ الْعُذْرَ وَلَا نَسْتَطِيعُ لِجَوَابِهِ رَدّاً فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَصْحَابِهِ فخاطبنا بِمِثْلِ خطابه» (المجلسي، ١٤٠٣؛ ج٣، ص. ٥٨).

٣) أهداف الحوار في الثقافة الإسلامية

النقطة الأولى: أهداف الحوار في القران الكريم

لاشك أن القرآن الكريم هو كتاب هداية لكافة الناس، وهو الكتاب الخالد والنور الساطع، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأهل‌البيت عليهم السلام هم عِدل القرآن، وقد صرح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

القرآن الكريم والتقسيم الثلاثي للأهداف

وعندما نريد أن نتحدث عن الأهداف بصورة عامة، نجد أن المتخصصين في الأهداف والدراسات الخاصة في هذا المجال، يقسمونها إلى ثلاثة أقسام، وهي أولاً: الأهداف المعرفية، ثانياً: الأهداف المهارية، ثالثاً: الأهداف التربوية أو العاطفية والوجدانية (بلوم، ٢٠٠٨؛ ص. ٩-١٠)، وقد سبق القرآن الكريم هذه الدراسات وبين هذه الأهداف في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيهِمْ ءَايَتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَب وَ الحِكْمَةَ وَإِن كانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضلَلٍ مُّبِينٍ) [الجمعة/ ٢]، وجاء في تفسير هذه الآية: لخصت الآية الهدف من بعثة الرسول صلى الله عليه وآله في ثلاثة أمور: جاء أحدها كمقدمة وهو تلاوة الآيات عليهم، بينما شكّل الأمران الآخران أي: (تهذيب وتزكية النفس) و(تعليمهم الكتاب والحكمة) الهدف النهائي الكبير؛ (الشيرازي، ٢٠٠٢؛ ج١٨، ص. ٣١٥).

ومما ورد في تفسير الآية الكريمة، يمكن أن نقول بأن المقصود من جملة (يتلوا عليهم آياته) هو الأهداف المعرفية التي لا غنى عنها في أي عملية علمية تعليمية، فإنها الأساس في جميع تلك العمليات، وأما (يزكيهم) فالمقصود منها الأهداف العاطفية والوجدانية؛ فإنها المسائل التربوية التي جاء بها القران لأجل التزكية وتربية النفس، وأما جملة (يعلمهم...) فالمقصود منها الأهداف المهارية؛ فإن الحكمة لا تنفكّ عن البراهين وإقامة الأدلة، وهي العملية التي تحتاج إلى المهارة والحنكة.

ونحن نعلم إن القرآن الكريم قد قرن بين التعليم والتزكية في الذكر، وحتى أنه في بعض الآيات قدم (التزكية) على (التعليم) وهو الهدف النهائي كما جاء في الكثير من الروايات، ومعنى (يزكيهم) أي: يطهرهم من دنس الشرك بما يهديهم إلى الإيمان، فيجعلهم أزكياء، (الطوسي، ١٤٠٩؛ ج١٠، ص٤) وهذا ما يؤيد قول الرسول صلى الله عليه وآله «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الخلاقِ» (الكليني، ٢٠٠٧؛ ج٢، ص. ١٠٦).

وإن جميع الصور والنماذج الحوارية التي وردت في القرآن الكريم وفي مواقف أهل‌البيت عليهم السلام تتجلى فيها هذه الأهداف بوضوح وبأكمل صورها، ويقول العلامة السيد محمد حسين فضل الله «لا مقدسات في الحوار»، كل شيء قابل للحوار حتى وجود الله سبحانه وتعالى، ورسالة النبي وشخصيته، والإيمان باليوم الآخر، فقد حدثنا الله سبحانه وتعالى عن حواره مع إبليس، وكذلك حواره مع الملائكة في مسألة استخلاف آدم على الأرض، وقد كان تعجب الملائكة من هذا الاستخلاف من أجل الحصول على المعرفة والتوصل إلى الحقيقة التي من أجلها خلق الله الإنسان واستخلفه على الأرض.

النقطة الثانية: أهداف الحوار في ثقافة أهل‌البيت عليهم السلام

وأما ثقافة أهل‌البيت عليهم السلام فهي حافلة بأهداف الحوار، فحياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسيرته العملية في دعوة كفار قريش وأهل الكتاب من يهود المدينة ونصارى نجران ومكاتباته لملوك الأرض خير دليل وشاهد على ذلك، ومنها حواره مع المشركين من قومه، قال تعالى: **(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْك وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ، وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ قَلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلَل مُّبِينٍ)**[سبأ/ ٢٢-٢٤]، ففي تفسير هذه الآيات نجد أنه بعد إبطال عقائد المشركين بعد الحوار الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وآله والمشركين من قومه، يشير في آخر الآية إلى موضوع: «يمكنه أن يكون أساساً لدليل واقعي ومتوائم مع غاية الأدب والإنصاف بطريقة تسنزل الطرف المقابل من مركب الغرور والعناد الذي يمتطيه، وتدفعه إلى التفكر والتأمل بقوله تعالى: **(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلَل مُّبِينٍ)**» (الشيرازي،٢٠٠٢؛ ج ١٣، ص. ٤٤٢).

والذي يتضح من الحوار السابق هو مراعاة الجانب النفسي الذي يؤدي إلى إيقاظ الوجدان وإثارة روح البحث عن الحقيقة وإحيائها فيه، وهو يشكل أهم هدف من أهداف الحوار، وهو الهدف العاطفي والوجداني، فالإنسان مجموعة من العواطف والأحاسيس التي تشكل جانباً مهماً من روحه، والتي يجب إشباعها من خلال المزج بين المنطق والعقل في الحوار.

وقد سار أئمة أهل‌البيت عليهم السلام على نهج الرسول محمد صلى الله عليه وآله، فالإمام علي عليه السلام اعتمد على الحوار مع خصومه عندما غصبوا حقه في الخلافة، وكذلك ما فعلته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في احتجاجها على أبوبكر وأحاديثها مع الأنصار وخطبتها البليغة والرائعة، كل ذلك كان من أجل تعريف الأمة بحقهم المغصوب، وأما موقف الإمام علي عليه السلام من الخوارج الذين كانوا من أشد الفرق عداءاً له ولأهل بيته الأطهار، وقد شكل الخوارج تياراً فكرياً وسياسياً معارضاً، فقد حاجّهم الإمام علي عليه السلام بنفسه قبل معركة النهروان عندما أطلقوا مقولتهم المعروفة (لا حكم إلا لله)، وقد أقرّ الإمام علي عليه السلام بأنها كلمة حق ولكن أريد بها باطل، وطمس الحقيقة المتمثلة بأن علياً عليه السلام إمام حق.

وكذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في ما رواه محمّد بن سنان عنه حيث قال: «**حَدَّثَنِي المفضل بن عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَ الْعَصْرِ جَالِساً فِي الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ بَيْنَ الْقَبْرِ وَ الْمِنْبَرِ وَأَنَا مُفَكِّرٌ فِيمَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله مِنَ الشَّرَفِ وَالْفَضَائِلِ وَمَا مَنَحَهُ وَأَعْطَاهُ وَشَرَّفَهُ وَحَبَاهُ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ الْجُمْهُورِ مِنَ الْأُمَّةِ وَمَا جَهِلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ وَعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وخطير مَرْتَبَتِهِ فَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ [ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ-رَجُلُ مُلْحِدُ مَعْرُوفٍ] إِلَى أَنْ يَذْكُرَ أَحَادِيثَ هَذَا الرَّجُلِ الَّتِي سَمِعَهَا الْمُفَضَّلِ... إِلَى أَنْ (قَالَ الْمُفَضَّلُ): فَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي غَضَباً وَغَيْظاً وحنقاً، فَقُلْتُ: ياعدوّ اللَّهِ أَلْحَدْتَ فِي دِينِ اللَّهِ وَأَنْكَرْتِ الْبَارِي جَلَّ قُدْسُهُ الَّذِي خَلْقِكَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وصوّرك فِي أَتَمِّ صُورَةٍ وَقَلَّكَ فِي أَحْوَالِكَ حَتَّى بَلَغَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَيْتَ. فَلَوْ تَفَكَّرْتَ فِي نَفْسِكَ وَصَدَّقَكَ وَلَطِيفِ حَسَكِ، لَوَجَدْتَ دَلَائِلَ الرُّبُوبِيَّةِ وَآثَارِ الصَّنْعَةِ فِيكَ قَائِمَةُ، وَشَوَاهِده جَلَّ وَتَقَدَّسَ فِي خَلْقِكَ وَاضِحَةِ وبراهينه لَكَ لائحة، فَقَالَ: ياهذا إِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ كَلَّمناك فَإِنْ ثَبَتَتْ لَكَ حُجَّةُ تَبِعْنَاكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ فَلَا كَلَامِ لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَصْحَابِ جَعْفَرِبْنِ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ فَمَا هَكَذَا تُخَاطِبَنَا وَلَا بِمِثْلِ دَلِيلَكَ تُجَادِلِ فِينَا وَلَقَدْ سَمِعَ مِنْ كَلَامَنَا أَكْثَرَ مِمَّا سُمْعَةُ فَمَا أَفْحَشُ فِي خطابنا وَلَا تَعَدَّى فِي جوابنا وَإِنَّهُ الْحَلِيمُ الرزين الْعَاقِلُ الرصين لا يَعْتَرِيهِ خَرَقَ وَلَا طيش وَلَا نَزَقِ يَسْمَعُ كَلَامَنَا وَيُصْغِيَ إِلَيْنَا وَيَتَعَرَّفُ حُجَّتُنَا حَتَّى إِذا استفرغنا مَا عِنْدَنَا وَظَنَنَّا أَنَا قَطَعْنَاهُ دَحَضِ حُجَّتُنَا بِكَلَامِ يَسِيرِ وَخَطَّابِ قَصِيرُ يَلْزَمُنَا بِهِ الْحِجَّةِ وَيَقْطَعُ الْعُذْرِ وَلَا نَسْتَطِيعُ لِجَوَابِهِ رَدّاً فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَصْحَابِهِ لخاطبنا بِمِثْلِ خطابه**» (المفضل، ١٤٢٤؛ صص ٧-٩).

هكذا كانت سيرة أئمتنا عليهم السلام يحاورون الملاحدة والزنادقة، وكذلك علماء المذاهب الأخرى بأسلوب المنطق والعقل والموضوعية والهدوء، وهدفهم هدايتهم وتزكيتهم. والكشف عن سماحة الإسلام، وإظهار عظمة هذا الدين الرباني.

٤) أسس الحوار في الثقافة الإسلامية

من خلال استعراضنا لبعض آيات القرآن الكريم وكلمات ومواقف أهل‌البيت عليهم‌السلام ودورهم الريادي في الدفاع عن الإسلام ومقدساته من خلال الحوارات والمناظرات التي جرت على أيديهم وما علّموها لصحابتهم، نستكشف أهم الأسس في الحوار في الثقافة الإسلامية، وهي من الآداب العامة التي ينبغي للمتحاورين أن يلتزموا بها، وإن الاخذ بها يجعل للحوار قيمته العلمية، وهذه الآداب هي من الأخلاق الإسلامية التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم وليس فقط المتحاورين، وفي ما يلي نذكر أهمها:

أ. إخلاص النية لله والتوكل عليه سبحانه وتعالى:

إن اخلاص النية لله عزوجل والتوكل عليه، من أهم أخلاقيات الحوار، لأن المتحاور يريد إثبات حق من حقوق الله عليه، وهو إظهار الحقيقة وهداية الطرف الآخر إلى جادة الصواب.

ب. التكافؤ في العلم:

أي أن يكون المتحاوران على درجة واحدة من العلم؛ لذلك إن من آداب الحوار أن يتحاور العالم مع العالم، وليس العالم مع الجاهل، لأنه بذلك يضيع الحق. وفي ذلك يقول الإمام علي عليه‌السلام: «**مَا جَادَلْتَ جَاهِلًا إِلَّا وَغَلَبَنِي وَمَا جَادَلْتَ عَالِماً إِلَّا غَلَبْتُهُ**»، وقال الإمام الصادق عليه‌السلام: «**مِنْ اَخلاقِ الْجاهِلِ الْاجابَةُ قَبْلَ اَنْ يَسْمَعَ وَالْمُعارِضِهِ قَبْلَ اَنْ يَفْهَمَ وَالْحُكْمُ بِما لا يَعْلَمُ**» (المجلسي، ١٤٠٣، ج٧٨، ص. ٢٧٨).

ج. الصبر والحلم:

إن من يدخل في حوار مع الآخر، يجب عليه أن يتحلى بالصبر والحلم وهي صفة الأنبياء والأوصياء، فإنهم صبروا وتحملوا صنوف العذاب من أقوامهم من أجل هدايتهم، والله سبحانه وتعالى يأمر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله بالصبر والصمود، قال الله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾[الأحقاف/ ٣٥].

د. الرحمة:

تتجلى صفة الرحمة في ديننا الحنيف بأجلى صورها، فديننا دين الرحمة والإنسانية، والله أرسل خاتم النبيين محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله رحمةً للعالمين، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء/ ١٠٧]. وقال الله تعالى مخاطباً رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل‌عمران/ ١٥٩].

م. الاحترام المتبادل والتقدير:

إن الاحترام هو أساس الحوار، والاختلاف مهما بلغ بين المتحاورين لابد هناك من قواعد وأسس مشتركة بينهم، لا تمنعهم من الاحترام المتبادل؛ لأن الاختلاف والتعددية هي مبدأ إلهي وقد جعله الله سنة طبيعية، ولكن احترام الرأي الآخر لا يعني الإقرار بالأفكار التي تتنافى صراحةً مع المبادئ والقيم التي نؤمن بها ... ولا يعني السكوت عن مواجهتها والتصدي لها، وتحصين المجتمع من أخطارها، وليس هذا إلغاء الآخر، ولا يتنافى هذا مع أدب الحوار والاختلاف.

ن. التواضع و لين الكلمة:

إن المنهج الإسلامي يؤكد على الكلمة اللينة في الحوار؛ لأنها تفتح القلوب، قال تعالى: ﴿**إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه/ ٤٣-٤٤]، فاللغة اللينة هي لغة الحوار.

و. الموضوعية:

إن الحوار الباحث عن الحقيقة يجب أن يكون حواراً موضوعياً، فالحوار الموضوعي يوفّر لنا فرصةً لمحاسبة أنفسنا، ويهيأ لنا قبول الآخر، وأن لا يكون الحوار من أجل الحوار، وإنما من أجل الوصول إلى الحقيقة.

ى. *حُسن الاستماع والإنصات:*

قال تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ)[الزمر/ ١٨١٧]، فالقرآن يؤكد على اتباع أحسن القول؛ لأن الحوار يقوم على طرح الأدلة والبراهين من أجل الوصول إلى الحق.

وأخيراً إن من ثقافة الحوار وآدابه في الإسلام، أن يُحترم الإنسان وحريته في الاختيار، كما يُحترم حقه في الاختلاف وفي الحوار والمجادلة، وفي النتيجة، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها، وما ربك بظلامٍ للعبيد.

٥) تنمية مهارة أدب الحوار على أسس إسلامية

المهارة: شيء يمكن تعلمه أو اكتسابه أو تكوينه لدى المتعلم، عن طريق المحاكاة والتدريب، وأنَّ ما يتعلمه يختلف باختلاف نوع المادة وطبيعتها وخصائصها والهدف من تعلمها؛ (عبدالشافي، ١٩٩٧، ص ٢١٣).

ومن خلال التعريف المتقدم تتضح لدينا بعض الأمور وهي أن المهارة وإن كانت فطرية إلا أنه يمكن للإنسان أن يتعلمها أو يكتسبها وينّميها عن طريقين، وهما:

المحاكاة: أي يكون لديه قدوة في التعلم، والتدريب: وهو الممارسة العملية.

وعندما ننظر إلى أدب الحوار من وجهة النظر الإسلامية، فإننا نجد أن لدينا المثل الأعلى وهو سيد المرسلين محمد ﷺ والأوصياء من بعده صفوة الخلق أجمعين عليهم السلام نتأسى بسيرتهم، فهم القرآن الناطق، وحياتهم ومواقفهم كلها دروس نستفيد منها في حياتنا، فيبقى لدينا شيء واحد وهو الممارسة والتدريب على مهارة الحوار من خلال بذل الجهد في الحصول على بعض المهارات الإضافية، مثل المهارات المعرفية التي تشمل (مهارات التفكير، حل المشكلات، معالجة المعلومات، الفهم والاستيعاب، إدارة المعرفة)، ومثل المهارات الشخصية (الإرادة، الدافعية، الضبط الذاتي، وضع الأهداف)، ومثل مهارات الحياة (التواصل، إدارة الوقت، إدارة الضغوط، المواجهة، اتخاذ القرار).

وما أحوج تعليمنا إلى تنمية أدب الحوار لدى أبنائنا وخاصة في زماننا هذا الذي أصبح العالم فيه قرية صغيرة، فوسائل الاتصال والتكنولوجيا موجودة في كل بيت ولا غنى عنها، لذلك يجب على المسؤولين في المؤسسات التعليمية تسليح أبنائنا وبناتنا بثقافة الحوار الإسلامي لمواجهة أخطار الطرف الآخر المختلف معنا، ليستطيعوا مواجهة ما يصادفهم من أفكار ضالة وعقائد منحرفة.

٧) الخاتمة

أولاً: *نتائج البحث*

نستنتج من ذلك كله أن الحوار يلعب دور مهماً في حياتنا المعاصرة بسبب الانفتاح الكبير على الثقافات والحضارات بين الشعوب من جهة وبين التقدم العلمي الهائل في عالم التكنولوجيا والاتصالات من جهة أخرى، لذلك يجب على أمتنا الإسلامية أن تهتم اهتماماً بالغاً بأدب الحوار وتعتبره منهجاً من المناهج الرئيسية في المؤسسات التعليمية.

ويمكن ترتيب النتائج التي توصلنا إليها كما يلي:

وأما أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث والتحقيق في هذه المقالة، فمنها:

١ـ الحوار هو العنصر الأساسي في أي تفاعل معلوماتي حتى لو كان هذا التفاعل بين شخصين لا أكثر.

٢ـ وبناء على الحقيقة السابقة، يتبين ما للحوار من أهمية في تبادل المعلومات وبناء الفكر والحضارة.

٣ـ وللأهمية القصوى التي يتمتع بها الحوار، لابد أن يكون هناك قواعد وضوابط خاصة تحكم ذلك العنصر بحيث يعطي أكله ويوصل إلى الأهداف المتوخاة منه.

٤ـ إن خير ما يستقى منه أسس الحوار وآدابه هو الثقافة الإسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم وعدله؛ أقصد أهل البيت عليهم السلام.

٥ـ أهم أسس الحوار في الثقافة الإسلامية هي: الإخلاص والاحترام والموضوعية و...

ثانياً: *المقترحات*

ونظرة عابرة سريعة إلى ما جاء في البحث، وبالأخص في الخلاصة، يفتح الباب واسعاً أمام جملة من التوصيات المهمة في مجال الحوار وآدابه، من تلك التوصيات:

١ـ الانتباه إلى أهمية الحوار باعتباره أساس التواصل والثقافة.

٢ـ إدراك لزوم وجود أسس وضوابط لابد منها للوصول إلى حوار جاد وهادف.

٣ـ الاهتمام بما ورد في الثقافة الإسلامية المتمثلة بالقرآن وأهل بيت النبي عليهم السلام ؛ من أسس وضوابط ترتقي بالحوار وتجعله فنياً صحيحاً.

٤ـ توجيه الاهتمام إلى تنمية ثقافة الحوار وأسسه وآدابه بالصورة اللائقة بالأهمية القصوى التي يتمتع بها.

فهرس المصادر

١. **القران الكريم**.

٢. ابن‌فارس، أحمدبن زكريا.، (١٣٩٩)، **مقاييس اللغة**، بيروت: دارالفكر للطباعة والنشر.

٣. ابن‌منظور، محمدبن مكرم.، (١٤١٤)، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر.

٤. بلوم، بنجامين.، (٢٠٠٨)، **نظام تصنيف الأهداف التربوية**، ترجمة محمد محمود خوالدة،صادق إبراهيم عودة، بيروت: دار مكتبة الهلال.

٥. الرضي، محمدبن الحسين، (١٤١٤)، **نهج البلاغة**، بيروت: دار الأندلس.

٦. الشيرازي، ناصر مكارم.، (٢٠٠٢)، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٧. الطباطبائي، السيد محمدبن الحسين.، (١٩٩٧)، **الميزان في تفسير القرآن**، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٨. الطوسي، ابي‌جعفر محمدبن الحسن.، (١٤٠٩)، **التبيان في تفسير القرآن**، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٩. عبدالشافي، أحمد سيد رحاب.، فعالية برنامج مقترح لتنمية المهارات الإملائية اللازمة لتلاميذ كلية التربية، ***المجلة التربوية***، ١٢(١٩٩٧): الجزء الأول، يناير.

١٠. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (٢٠٠٧)، **العين**، تحقيق محمدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بغداد: دارالرشيد.

١١. الكليني، محمدبن يعقوب.، (٢٠٠٧)، **أصول الكافي**، الطبعة الأولى، بيروت: منشورات الفجر.

١٢. المجلسي، محمد باقر.، (١٤٠٣)، **بحارالأنوار**، الطبعة الثالثة، تحقيق، محمد محدي الخرسان، السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، قم: مؤسسة آية الله الميلاني لإحياء الفكر الشيعي.

١٣. المصطفوي، حسن.، (١٣٩٣)، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامى.

١٤. المفضل، عمر، (١٤٢٤)، **وصايا ومجالس الإمام جعفر الصادق** عليه السلام ، الطبعة الأولى، بيروت: دارالمرتضى .

پرتال جامع علوم انسانی